

الاستعمار والإسلام

أنور الجندى



على طريق الأصالة الإسلامية

٢

الاستعمار والإسلام

تأليف

أنور اجندى

دار الأنصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع
المنشأة على الهنالك المحيطة بالمدينة
٩٣١٥٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستعمار

الاستعمار ظاهرة حديثة في تاريخ الأمم ارتبطت بالحضارة الغربية الحديثة التي ظهرت في القرن الخامس عشر الهجري في أوروبا واستطاع العلم التجريبي أن ينقلها إلى ثورة الصناعة ، فكان الاستعمار هو محور هذه الثورة حيث لم تكن تملك أوروبا من المواد الخام الا قليلا من الفحم ، ومن هنا ارتبطت الصناعة الحديثة بالاستعمار حيث زحفت البلاد الأوروبية على الشرق واحتلت مناطق متعددة استطاعت أن تحصل منها على الخامات التي ازدهرت بها الصناعة ثم أعادت هذه المصنعات إلى تلك البلاد مرة أخرى لبيعها فأصبح العالم الاسلامي بالنسبة لها مصدرا للخامات وسوقا للتجارة في نفس الوقت . وقد استطاع الاستعمار في خلال هذه الفترة الطويلة أن يسيطر على مقدرات البلاد الاسلامية من أندونيسيا وبلاد الملايو إلى المغرب في مرحلتين احدهما (البرتغال واسبانيا) وهي مرحلة تمهيدية قصيرة ثم مرحلة

الاستعمار الطويل (فرنسا وانجلترا وإيطاليا وهولندا) وهي الفترة التي امتدت خلال أكثر من قرنين والتي انتهت في السنوات التالية للحرب العالمية الثانية على نوع من الاستعمار الاقتصادي والسيطرة الثقافية ، بعد أن جلت قوات الاستعمار العسكري والسياسي وهذه هي المرحلة التي يمر بها العالم الاسلامي اليوم .

ولقد كان « الاستعمار » الغربي الحديث ظاهرة مفردة مختلفة تمام الاختلاف عن الاستعمار الروماني والفرسي وعن الوحدة الاسلامية العثمانية العربية التي وصفت بالاستعمار بينما لم تكن أكثر من تضلم اجراء من الامة الاسلامية الى كيان سياسي واحد .

وقد جاء الاستعمار موجه تاليه لزحف سابق أطلق عليه اسم الحروب الصليبية التي امتدت على جبهة المشرق (الشام ومصر) كما امتدت على جبهة المغرب (الجزائر وتونس) وقد فشلت الحملات الصليبية واندحرت مهزومة ، ثم جاء بعدها المد العثماني الاسلامي الذي حمى عالم الاسلام أكثر من ثلاثمائة سنة من الغزو الغربي فلما وهنت القوة العثمانية عاود الغرب محاولته للسيطرة على عالم الاسلام وكانت هذه المرة حملة مزدوجة :

المطامع : فيها مطامع الصهيونية ومنها مطامع الاستعمار الغربى ومنها مطامع روسيا القيصرية وقد استمر الصراع طويلا بين القوى الثلاثة حتى استطاعت ان تفرض نفوذها على اجزاء العالم الاسلامى على النحو الذى تشكلت به القوى الاستعمارية فى نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت نتائجه : سقوط الدولة العثمانية وتمزق ميراثها بين فرنسا وانجلترا ، وقيام الكيان الصهيونى فى فلسطين واستيلاء روسيا على الاجزاء الاسلامية فى آسيا : القرم وتركستان وغيرها .

ولقد ارتبط الاستعمار منذ اليوم الاول بقوتين أساسيتين هما : التبشير والاستشراق وكان الهدف هو دعم الوجود الاستعمارى بخلق عقليّة موالية للغرب ، منحرفة عن أصالة الاسلام الذى يعطيها دائما القدرة على المقاومة والجهاد والمواجهة .

وقد عملت هذه القوى الفكرية على السيطرة على التعليم والثقافة والصحافة من أجل تزييف المفهوم الاسلامى وتخليصه وحجب أبعاده الحقيقية يتصور ان الاسلام دين عبادة ومن ثم فرض الاستعمار النظم

السياسية والاقتصادية والقانونية الغربية على البلاد الإسلامية ونحا منهجها الاصيل المستمد من القرآن الكريم . فرض عليها القانون الوضعى بدلا من الشريعة الإسلامية وفرض عليها المصرف الربوى بدلا من نظام الاقتصاد الإسلامى وفرض عليها النظام الديمقراطى الليبرالى بدلا عن نظامها الشورى .

ولقد كان حرص الاستعمار على أن يوقف نمو الإسلام ونمو اللغة العربية ويعارض القوة القادرة على مقاومته والحيولة دون وحدة أجزاء هذه الأمة باعتبارها خطرا عليه والعمل الدائب على تزيق الجبهات ، بالانقسام السياسى والعنصرى والطائفى والقبلى وإدامة هذه الفرق حتى لا يلتقى المسلمون على وحدة جامعة .

وكان أخطر ما حرص الاستعمار على تقليص نفوذ الإسلام فيه إفريقيا وجنوب شرق آسيا وكانت للاستعمار الفرنسى والانجليزى (فى العالم العربى) والانجليزى فى الهند والهولندى فى بلاد الملايو خطط أساسية عامة وأساليب مختلفة متنوعة .

وكان الاستعمار البريطانى من أشد أنواع

الاستعمار قسوة على الاسلام وقد ركز الاستعمار بعامه على البلاد العربية أساسا بوصفها بلاد العربية والاسلام وعلى مصر خاصة بوصفها قلب العالم العربى ، وقد بدأت خطط الاستعمار بالتجارة والاستيلاء على الموانئ والبواغير ثم التغلغل فى داخل البلاد والاستعانة بالاقليات فى سبيل ضرب التجمعات الاسلامية والسيطرة على مراكز الحكم والتوجيه برجال لهم ولاء للاستعمار عن طريق الدين أو عن طريق الفكر .

ولقد كانت دعوى الاستعمار الغربى فى احتلال العالم الاسلامى ، هى دعوى التمدين ونقل الشعوب المتنافرة الى مجال الحرية والواقع أن الدول الاستعمارية لم تفد الى العالم الاسلامى لتمدنه بل لتستنزفه ولتستبعد اهله . ولقد كانت نظرة الاستعمار الى العالم الاسلامى هى نظرتهم الى عناصر أقل درجة من الجنس الابيض حامل الحضارة ، وكانت ترى أن الشعوب الملونة ليست أهلا للحرية ولا للرفاهية .

ولقد استطاعت الدول الاستعمارية بعد سيطرتها العسكرية على البلاد الاسلامية أن تسيطر على مقدراتها الاقتصادية وكيانها السياسى ، وأن تستدرجها

فى مجال القروض والمعونات واقامة القواعد العسكرية
واثارة الاضطرابات الداخلية لاضعافها واستدامة
سيطرتها عليها وتقلد بعض الدول الاستعمارية افواجا
من اهلها الى البلاد المستعمرة حيث طردوا الوطنى
صاحب الارض وسيطروا عليها وجعلوا ذلك وسيلة
لزعزعة المجتمعات وتغليب الاقليات الاجنبية على
أصحاب الارض الاصليين . وانشأ الاستعمار أجيالا
جديدة تدين له بالولاء وتؤمن بعظمته وسلطانه وتدعو
قومها الى التبعية واعتبار الاتجاه نحو الغرب ونحو
اللون الغربى المعين (فرنسا كان أم انجليزيا) هو
الاسلوب الوحيد للتقدم .

يقول الفريد كاثول سميث : ان الغرب يوجه
كل أسلحته الحربية العلمية والفكرية والاجتماعية
والاقتصادية الى العالم الاسلامى بفرض اذلاله وتحقيره
واشعاره بالضالة والخنوع ، ولقد جرت محاولات
استعمارية متصلة على مدى التاريخ لدعم النفوذ
الاجنبى فى العالم الاسلامى منها تلك الخطة التى اعدّها
كامبل لبرمان الزعيم البريطانى الذى قام بتشكيل
من بعض علماء التاريخ ورجال القانون والسياسة
وطرح عليها القضية التالية :

هل يمكن الحصول على أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الاوربي وانهياره أو تؤخر مصيره المظلم بعد أن بلغ الآن الذروة وبعد أن أصبحت أوربا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معاملها بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتقدم .

ولقد كانت خلاصة رأى العلماء هي : ايجاد عنصر غريب في المنطقة القائمة بين افريقيا وآسيا من شأنه أن يحول دون وحدة هذه المنطقة . ذلك أن أخوف ما يخافه الاستعمار هو انبعاث هذه الأمة عن الطريق الطبيعى لها وهو الوحدة الاسلامية .

ولذلك شجعت الدول الاستعمارية القوى الفازية على السيطرة وفتحت الطريق امام الصهيونية العالمية للسيطرة على فلسطين وأتاحت لها الفرصة باعلان وعد بلفور .

لذلك فانها افسحت المجال للغزو الثقافى الماركسى والغربى والصهيونى على السواء حتى تقع البلاد الاسلامية فى بلبلة فكرية وصراع اجتماعى يحول بينها وبين القدرة على مقاومة الاستعمار أو التحرر من نفوذه .

كذلك طرحت في أفق العالم الاسلامى قضايا
القومية والاقليمية والديمقراطية والماركسية والوجودية
والمادية وكلها محاولات لتزيق جبهة المجتمع الاسلامى
وفكره والحيلولة دون التقائه على وحدة الفكر الاسلامى

كيف واجه العالم الاسلامى الاحتلال الغربى
والاستعمار الفرنسى الانجليزى والقوات الطامعة
يهودية وروسية وأوربية ؟

لقد وقف العالم الاسلامى كله فى وحدة متراسة
منذ اليوم الاول لمقاومة الغزو الاستعمارى وجرد كل
ما يملك فى سبيل الدفاع عن كيانه وحماية وجوده
ودحر الغزاة ، وقد برز عدد من المعلمين المصلحين
الذين حملوا لواء المقاومة وجندوا كتائب المؤمنين
للمقاومة ، ولم يتمكن الاستعمار من الانتصار عليهم
بقوة السلاح فى معركة واحدة وانما تغلب عليهم بالخدعة
والمكر ، ولقد فوجئ الاستعمار بهذه القوة المذمورة
التى لم يكن يتوقعها فعبد الى تغيير أساليبه وخطه
مرة بعد مرة ، من الاستعمار الى الانتداب ومن الاحتلال
الى الوصاية ، وظهر له كذب ادعائه بأن هذه الشعوب
متاخرة تعجز عن أن تدير شئونها بنفسها ولقد كانت
تفعل ذلك قبل حلوله بمئات السنين .

وكشف القادة المسلمون خدعة بريطانيا القائلة
بأنها دولة صديقة للإسلام وبينوا أنها كانت العامل
الأول في القضاء على الدولة العثمانية ، وأنهم هم
الذين رتبوا جيوش الرهبان من المبشرين ونشروهم في
أنحاء بلاد المسلمين في الهند والصين ومصر والسودان
والصومال وفلسطين ولبنان والعراق وسائر أرجاء
آسيا وأفريقيا الإسلامية وأمدادهم بالمال وساعدتهم
الدولة البريطانية كل المساعدة على تكفير المسلمين
صغارا وكبارا وأخرجهم من دين الإسلام ، وقد بذل
الإنجليز كل ما يستطيعون من قوة ومن مكر ودهاء
وحيلة ورياء في هذا السبيل ، والإنجليز هم الذين منعوا
علماء المسلمين من الدخول إلى جنوب السودان
المصري وحالوا بينهم وبين تعليم المسلمين مع سكان
تلك الجهات أحكام الدين وآداب المسلمين فأوصدوا في
وجه الهداه سبل الدعوة إلى الدين الحق في حين أنهم
غزوا تلك الجهات بجيوش رهبانهم ونشروهم في تلك
الأقاليم ، كذلك كشف المفكرون المصلحون عن الدور
الذي قام به الاستعمار عامة والبريطاني خاصة في
القضاء على الدول الإسلامية واستئصالها دولة بعد
دولة وهم الذين هدموا دولة الإسلام في الهند وأذلوا
أهلها ، وهم الذين أزالوا الدولة العثمانية دولة الخلافة
واستعمروا بلادها ومزقوها كل ممزق وبذلك تمكنوا من

هدم الخلافة الاسلامية وابقاء المسلمين بدون خليفة
وهم الذين مهدوا للصهيونية بالسيطرة على فلسطين
واحتلال القدس .

وهم الذين مكثوا لهم في هذه الاراضي المصرية
الاسلامية وجعلوا منهم قوة عسكرية ذات بأس تهدد
الحجاز ومصر وسوريا ولبنان والعراق وسائر بلاد
العرب .

وهكذا كشف الدعاة المسلمون خطر الاستعمار
البريطاني وكذلك فعل الدعاة المسلمون في المغرب
كشفوا خطر الاستعمار الفرنسي وكانت الحركات
الوطنية كلها حركات اسلامية المصدر والطابع حملت
لواء الجهاد بالمقاومة الشعبية وبالكلمة وكشف دخائل
المستعمر وأهدافه ، والعمل في نفس الوقت لتحرير
الفكر الاسلامي من زيف البدع والاضاليل والخرافات
والتماس منابعه الاصلية ليكون قوة في المقاومة
لا تغلب .

وقد عمدت القوى الوطنية المقاومة للاستعمار
الى كل أسلوب فأنشأت المدارس الاهلية لتتحرر من
برامج الارشاليات الاجنبية ، وأنشأت المستشفيات

ودور الملاجئ وغيرها حتى لا يقع أبناء المسلمين فريسة
التبشير الغربى .

وكانت حركات السنوسى والمهدى وجمال الدين
ومحمد عبده وغيرها حركات مقاومة ويؤكد الباحثون
أن حركة المقاومة لم تتوقف منذ احتل الغرب عالم
الاسلام وان كل الحركات التى قام بها المسلمون سواء
كانت حربية عسكرية أم فكرية ، وسواء اكانت باسم
الجامعة الاسلامية أو الوحدة العربية أو الوطنية ، انما
كانت أساسا اسلامية المصدر تنبع من أساس مفهوم
الجهاد الاسلامى .

ولقد اهتز الاستعمار اهتزازا شديدا لحركة
الجامعة الاسلامية التى قام بها السلطان عبد الحميد،
ولذلك عجل بالقضاء عليه وفرق العالم الاسلامى الى
صراع بين القوميات والوطنيات ومع ذلك فان مفهوم
(العروبة والاسلام) ما يزال يقلق الاستعمار الذى
حاول أن يحل بديلا منه مفهوم القوميات الغربية .

ولقد استطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن
تدحض مختلف الشبهات والسموم التى حاولت حركة
الغزو الثقافى والتفريب عن طريق التبشير والاستشراق

أن توجه سهاما الى الفكر الاسلامى ، وعملت على
كشف جوهر الاسلام ومفهومه الاصيل الجامع المترابط
منهج حياة ونظام مجتمع .

قاوم المسلمون الاستعمار فى كل مكان : شامل
فى القوقاز وعربى فى مصر والمهدى فى السودان ويعقوب
فى التركستان وعبد القادر فى الجزائر وعبد الكريم فى
المغرب ، والسنوسى فى ليبيا واحمد عرفان فى الهند
وعمر المختار فى ليبيا وظهر المصلحون المجهدون الدهلوى
واقبال والقاسمى والالوسى والعلوى الولى وابن ياديس
وخير الدين وعبدلكى وجمال الدين ومحمد عبده .

وكان الازهر والزيتونة والقروين ومعاهد دمشق
وبغداد كلها معاقل للمقاومة والجهاد الاسلامى ولقد
كان الاستعمار يهدف الى أن يحول دون نهوض عالم
الاسلام ، كان يرى فى هذا النهوض خطرا عليه ، قال
جاردنر : أن القوة التى تكمن فى الاسلام هى التى تخيف
أوربا ويقول لورانس براون : اذا اتحد المسلمون أمكن
أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا على الغرب اما
اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير .
ان الخطر الحقيقى كامن فى نظام الاسلام وفى قدرته
على التوسع والاختضاع وفى حيويته : انه الجدار
الوحيد فى وجه الاستعمار الاوربى .

ومن هنا كانت خطة التبشير التى يصورها زعيمهم زويمر بأنها لا تهدف الى ادخال المسلمين فى المسجد بل فى اخراجهم من الاسلام وزعزعة عقائدهم وتشكيكهم فى مقومات فكرهم وتاريخهم وخلق طابع غربى فى أسلوب الحياة أقرب الى الترف والانحلال .

ومهما حاول الغربيون أن يدعوا أنهم يحاولون تموين الاقطار المحتلة فانهم لن يعطونها الا ما يدمرها، ذلك الفتات من المستهلكات والخمور والسموم والمراقص ، التى تدمر ثروتهم وحيوية شخصياتهم وتجعلهم ههارين عاجزين عن المقاومة . ولكنهم بشهادة مؤرخهم « تويمبى » لا يفكرون قط فى اعطائهم العلوم : يقول المؤرخ الانجليزى « لا يستطيع الباحث المنصف أن يسلم بأن الاوربيين فى القرن السادس عشر وما تلاه من الازمنة كانوا على استعداد لان يقدموا للشرقيين والمسلمين من رعايا السلطان ثمرات نهوضهم العلمى هدية خالصة ، وما كان الشرقي العثماني يستطيع الاستفادة من النهضة الاوربية دون ان ينزل عن رجولته وحرريته هذا هو ثمن التقدم : الذى دفعته احدى الدول الاسلامية حين خرجت عن اللغة العربية والاسلام ثم غيرها الغرب بعد ذلك بانضمامها اليه

وقال انها عالة لم تستطع ان تضيف شيئا الى العلم
أو الحضارة .

ظهر بعد الحرب العالمية الثانية نظرية جديدة في
الاستعمار : هي الاستعمار الاقتصادي الذي حل محل
الاستعمار السياسي والعسكري بعد ان انسحبت قوات
الاحتلال من أغلب بلاد الاسلام ، ولكنها تركت وراءها
قوى ذات ولاء ثقافي وفكري ما تزال تسيطر على كثير
من المقدرات والمراكز الهامة . ويهدف الاستعمار
الجديد الى فرض السيطرة الاجنبية من سياسية
واقتصادية على دوله مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها
ودون الاعتماد في تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار
التقليدية وأهمها الاحتلال العسكري .

ولا شك أن تحول الاستعمار الى هذا الاسلوب
الجديد بالإضافة الى الاستعمار الاستيطاني الذي تقوم
به الصهيونية في فلسطين ، ويمتد منها الى ما حولها ،
بالإضافة الى الاستعمار الثقافي كل هذا يؤكد أن
الاستعمار انما يغير جلده ويتحول عن أساليبه التي
كرهتها الشعوب الى أساليب أشد خفاء وأكثر كلا
وأبعد عن مواجهة الشعوب في نفس الوقت الذي
يحافظ فيه بخطته وأهدافه الاساسية ويجري التحول

الاستعماري اليوم الى التركيز الصهيوني في قلب العالم
الاسلامي بتمزيق وحدة الامة العربية والحيلولة دون
وحدة العالم الاسلامي وذلك باعتبار ان الحركة
الصهيونية تطمح في ان ترث النظام الرأسمالي وتمهد
لاقامة حكومة عالمية .

وكان الاستعمار الغربي حين وجه كل اسلحته
الى العالم الاسلامي لتمزيقه انما يمهّد لنفوذ آخر أشد
عنفًا وشراسة ويفسح الطريق لقوى أشد شرًا من
قوى الاحاد والاباحة التي تعمل على سحق المقومات
الانسانية للمجتمعات والحضارة والاديان كوسيلة
لاسقاط الشعوب والامم الاسلامية في براثن نفوذ
استعماري أشد خطرا يتطلع الى السيطرة على العالم
كله .

ومن هنا يبرز أثر مخططات الغزو الثقافي الذي
يواجه الفكر الاسلامي للتشكيك في القيم والمقومات
الاسلامية واثارة الشبهات حولها .

وتهدف محاربة الاسلام الى القضاء على الطاقة الفكرية
والروحية التي بثها في مجتمعه واهله والقادرة على
مقاومة الاستعمار وكشفه ومواجهته والمرابطة في وجهه .

ولذلك فان مخططات الاستعمار في مجال الثقافة تقول على محاولة ابطال مفعول الوجدان الروحي والديني والنفسي والخلقي واعلاء شأن المفاهيم المادية واطفاء مفاهيم الفكر والروح والهجوم على القرآن والاسلام وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام والثقافة الاسلامية واللغة العربية بوصفها القوى التي تقاوم النفوذ الغربي الفكري الزاحف من وراء نظريات وايدلوجيات ومذاهب وشبهات مختلفة .

وقد درس الاسلام وقدر ورأى ان خير وسيلة لاختضاع المسلمين هو تغير عقليتهم والقضاء على ثقافتهم وتراثهم ، ولما كانت عقلية العالم الاسلامي وثقافته مرتبطة بالاسلام واللغة العربية فقد ركز عليها ولما كانت وسيلة التغير انما تكمن في التعليم فقد حرص على غزو تعليمي وثقافي ضخم واسع النطاق وذلك عن طريق ارسالاته ومعاهده الاجنبية . فاستطاع تخريج اجيال جديدة وفق مفاهيمه واثاح لهذه الاجيال السيطرة والقيادة والزعامة والحكم في اغلب انحاء العالم الاسلامي ، كما اطلق حركة التبشير لتحكم تنفيذ هذه الخطة وفرض على الدولة المحتلة أنظمة تعليمية قوامها تحقيق هذا الهدف ، وقد مضت حرب الاستعمار للاسلام لا هواة فيها باعتبارها العامل الدافع الى

القوة والجهاد والمقاومة ، وكانت هذه الحرب بأساليب مختلفة :

أولا : نقص مفاهيم الاسلام وتحريفها وخلق دعوات تحمل لواء الاسلام وتتنكر لاهم مقوماته وهو « الجهاد » الذى هو ذروة سنام الاسلام حيث ألغته الغاء أو قللت من أهميته أو عملت على تفسيره تفسيراً خاطئاً .

ثانيا : الطعن على الاسلام والحملة على مقوماته واتهامه بأنه مصدر تأخر المسلمين وضعفهم .

ثالثا : الحملة على اللغة العربية بقصد إيقاف نموها الذى يجرى بنمو الاسلام نفسه والعمل على تغليب اللغات الاجنبية عليها والدعوة الى العمامة لاحتلالها محل العربية والتنادى باحلال الحروف اللاتينية بديلة للحروف العربية ، فقد كانت اللغة ولا تزال هى ضمير الفكر نفسه ، وما تزال اللغة الفصحى هى مدخل الفهم الى القرآن الكريم وفى القضاء عليها محاولة للاغراب والبعده بمستوى الفهم عن القرآن والحيلولة دون الارتباط به .

ولقد كانت حركة التبشير هى اكبر الاعمال الاساسية لتحقيق هذه الغاية فهى القوة المتحركة فى

جيش الاستعمار لغزو العقول والقلوب في مختلف الجبهات واثارة الشبهات في مجال المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة .

وكانت حركة الاستشراق هي المصنع الذي يعد « أدوات العمل » : الشبهات والطعون والشكوك والاتهامات التي يقدمها العلماء الذين يعملون تابعين لوزارات الاستعمار في الدول الغربية ، يقدمونها الى حقل التبشير لنشرها والاذاعة بها فلما كشفت مخططات التبشير ، تخفى التبشير وراء التعليم والصحافة والثقافة وان كان لا يزال ظاهرا ومتحركا على جهات كثيرة من العالم الاسلامي وخاصة في قلب افريقيا وأرخبيل الملايو .

وقد كشف التبشير عن هدفه الذي لم يكن أساسا تحويل المسلمين الى اديان أخرى بعدد ان تأكدت استحالة ذلك للدعاة الذين اقتحموا الازهر ووزعوا نشراتهم بداخله ، وعقدوا مؤتمراتهم في قلاع الاسلام والوطنية مثل بعض احمد عرابي في باب اللوق أو في كهنو معقل الاسلام وندوة العلماء ودار العلوم في الهند ولكن الهدف هو اخراج المسلمين من قيم دينهم ومفاهيمه أساسا وبذلك يصبحون عجينة طيبة لتشكيل وفق

مفاهيمهم . وكذلك فان حركة التبشير هي حركة استعمارية تهدف الى خدمة النفوذ الاجنبى وتأكيد دعمه بقائه .

ولم يقف مخطط الاستعمار عند الغزو الفكرى والثقافى عن طريق حركة التبشير التى ركزت على المدارس والجامعات والتعليم بل انه دفع قوى أخرى خطيرة لتكون ركيزة له فى قلب الوطن الاسلامى ، من أهم هذه القوى حركة «الماسونية» مقدمة «الصهيونية» وريبتها التى مهدت لها الطريق والبهائية التى حملت لواء الدعوة الى هدم الاديان وكذلك استغل الاستعمار اوجه الخلاف الفرعية بين المسلمين فحاول تعميقها وحرص على الابقاء عليها خلال فترة حكمه الطويل ، كما أبقى على الاقليات وأغرى بعضها بالآخر ، وحرص على تجميد الطوائف والقبائل حتى لا تنصهر فى المجتمعات الواسعة وأوجد بينها وبين الاكثريات خصومات وأحقادا ، مستغلا ذلك كله لتأكيد بقائه فالاستعمار هو الذى عمق الصراع بين تركيا وفارس وغذى الخلاف بين السنة والشيعة وبين النصارى والمسلمين فى بلاد العرب وبين الهندوك والمسلمين فى الهند ، ولم تنفصل المشكلة الطائفية فى أى من المراحل عن الاستعمار الذى خلقها وغذاها واتخذ منها أداة سياسية يدعم بها

وجوده ، فقد احتضن الاستعمار الاقليات وعمل فيهم على خلق الشعور بكيان خاص ، له انفصال وتميز بحيث يحول بين التقاء العناصر كلها في وحدة كبرى كما فتح الباب للتبشير والرساليات .

كما أكد الاستعمار في مختلف انحاء العالم الاسلامى عوامل التفرقة العنصرية والجنسية واستغل في تثبيت ركائزه كل الوسائل وفي مقدمتها الامتيازات الاجنبية التى منحت الاجانب في الاقطار الاسلامية مراكز خاصة ونفوذا متميزا بحيث لا يخضعون لقوانين البلاد .

وتظل موسعاتهم في حصانة كاملة دون التفتيش أو الرقابة أو التحقيق معها بما تبيح لهما أن تتصرف على النحو الذى تراه دون أن تستطيع الحكومات ايقافها أو محاكمتها . وقاوم الاستعمار كلمة الاسلام والجامعة الاسلامية والوحدة الاسلامية وشن عليها جميعا حربا عنيفة ووصفها بغير ما كانت على الحقيقة، وركز حملته على السلطان عبد الحميد الذى قاد حركة المقاومة ضد زحف النفوذ الاستعماري حين دعا المسلمين خارج الدولة العثمانية الى الالتفاف حول راية الخلافة الاسلامية في حركة جامعة لمواجهة الغزو

الزاحف ، ومن هنا كانت تلك الصورة السيئة التي رسمها عملاء الاستعمار للسلطان عبد الحميد وما وصف به وما نشر عنه من أعمال وأقوال كشفت الأيام من بعد أن ليس لها نصيب من الحقيقة . ولقد تضافت قوى النفوذ الاستعماري وقوى الصهيونية على تدمير هذه الحركة واسقاط السلطان عبد الحميد الذي حال بموقفه الصامد دون تمزيق العالم الاسلامي واستيلاء الدول الغربية عليه واحتلاله فضلا عن موقفه المشرف ازاء محاولة الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين وكان موقفا بالغ القوة والصمود . مما حمل المحافل الماسونية في سالونيك وجلها من الدونمة (اليهود الذين اسلموا تقيهم) السيطرة على جمعية الاتحاد والترقي ودفعها الى اسقاط النظام الذي يحمل لواء الجامعة الاسلامية وايقاع الخلاف الدموي بين عنصرى الدولة العثمانية : الاتراك والعرب .

وهناك حقيقة هامة لا سبيل الى تجاهلها هي ان الاستعمار ركز على الامة العربية اكثر مما ركز على أى جزء من العالم الاسلامي وجعل لمصر في مخطط الاستعمار التبشير والتخريب قدحا معلى ، باعتبارها قلب العالم الاسلامي ومركز القيادة وقد صور (لوثروب ستوارد) في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) هذا الخطر حين

قال : ان سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها في التاريخ من حيث الفطاعة والخطورة والمدى والمجال .

حرص الاستعمار على امرين خطيرين في البلاد الاسلامية ليحول بينها وبين حقها في النمو والحياة الكريمة :

١ - الغاء تطبيق الشريعة الاسلامية واحلال للقانون الوضعي .

٢ - السيطرة على التعليم وتحويله عن اهدافه الطبيعية في بناء الانسان المسلم .

وكان الاستعمار حين اقتحم عالم الاسلام في هذه المرحلة الجديدة قد اعد مخططه على النحو الذي يكفل له تغيير العقيدة الاسلامية والقضاء على مقوماتها الاساسية عن طريق التعليم والثقافة واعتبر هذه الحركة القائمة على الغزو الثقافي والتفريب الفكري هي كبرى معاركه واعظم عوامل تثبيت قواعده وتنبيه المسلمون الى هذا الخطر فحاولوا من ناحيتهم مواجهة هذا الموقف ببناء مدارس وجامعات لها طابع الحفاظ

على الكيان الخاص والمقومات ولكنهم لم يكن ليبلغوا في هذا المجال المدى الذى يحقق لهم ما يريدون فقد كان وراء الارساليات والمدارس والجامعات الاجنبية التى انبثت فى مختلف انحاء العالم الاسلامى قوى مادية وأجهزة قوية قادرة على العمل يهيم لها الطريق ويوسده نفوذ دولها فى العالم الاسلامى فهى محمية بالامتيازات الاجنبية مفتوح أمامها الطريق بالاعفاء الجمركى .

وهنا نشأ تيار جديد دخل على التيار الاصيل وسارت المدارس الجديدة القائمة فى ظل الاستعمار على مناهج قريبة من مناهج الارساليات والمدارس الاجنبية ووجدت تلك الثنائية التى فرقّت وحدة الفكر فى العالم الاسلامى وخلقت صراعا فكريا بعيد المدى استحال معه التقاء المسلمين على رأى موحد .

وقد كان من نتيجة ذلك أن ضعف نفوذ اللغة العربية ومفاهيم الاسلام ، وتشبعت الناشئة بالفكرة الغربية وأعجبت بالبطولات الاجنبية وصار لها ولاء للغرب قوامه انتقاص للاوطان والعقائد والتاريخ الاسلامى ، وكان من شأن هذا أن دعم الاستعمار قواه بأجيال جديدة نشأت على الموالة والاعجاب والحرص على بقاء نفوذه .

وفي مجال الثقافة حرصت المحاولات الاستشرافية
أن تصور الاسلام بأنه دين لاهوتى عبادى لا صلة له
بالمجتمع وان من شأن الامم الحديثة أن تأخذ بأنظمة
الدولة الديمقراطية الغربية في السياسة والاجماع
والاقتصاد والتعليم .

كذلك رفعت حركة التغريب وليدة الاستعمار
شعار العلمانية في التربية باحضار الدين أساسا من
مناهج التعليم وابقصاء الشريعة من مجال القضاء
والقانون ورفع شعار الامية والفكر العالى للقضاء
على « ذاتية » الفكر الاسلامى .

واستهدف الاستعمار من هذه المخططات قيام
تقارب والتقاء بين البلاد المستعمرة والقوى الاستعمارية
فيها تقبل لوجوده الاستعمارى ، وذلك بازاحة القيم
الكبرى الاسلامية التى تحفظ للمسلمين قدرتهم على
المقاومة والمواجهة والجهاد وحرب الغاصب والادالة
منه والمحافظة على البيضة والاعتصام بالاستعداد
الحربى الدائم لارهاب الغزاه .

وكان الهجوم على الشريعة الاسلامية عاصفا
شديدا استهدف استبعاد تطبيق الحدود الاسلامية ،

أو نظام الإسلام في الاقتصاد وإباحة التحلل الاجتماعي والنظام الربوي وذلك بإقرار القانون الفرنسي في العقوبات . ودعا التفريغية إلى ما يسمى بمدينة القوانين التي تهدف إلى نيل الشريعة الإسلامية ، وقيام الأنظمة السياسية في البلاد الإسلامية على غير أساس الشورى أو القواعد الإسلامية في الاجتماع والاقتصاد والحرية ، ومتابعة الغرب في المعاملات المالية والعقوبات وكان في مقدمة هذا التحول الفصل بين الدين والدولة ، وحجب الإسلام عن حقيقة جوهره كنظام مجتمع ومنهج حياة .

وكان الهدف القضاء على الطابع الإسلامية في المجتمعات واحتوائها وسيطرة الأنظمة الاجتماعية والقانونية والاقتصادية عليها بما يؤدي إلى زوال السلطة والسيادة الإسلامية .

غير أن حركة اليقظة الإسلامية لم تتوقف عن مجابهة كل هذه المؤامرات وكشفت عن فساد هذه التبعية القانونية والسياسية والاقتصادية للديمقراطية والنظام الربوي القانون الوضعي .

وكان لمؤتمر لاهاي الذي عقد ١٩٣٧ أهمية كبرى

في أنه كشف عن عظمة الشريعة الإسلامية وعن أنها نظام مستقل غير مأخوذ من التشريع الروماني وعلت الصحة الى تعديل القانون الجنائي وقدمت عشرات الابحاث عن ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وخاصة في جرائم الحدود ، فان المشرع الوضعي اعتبر الزنا عملاً مباحاً بينما هو أساس حاسم في نظر الشريعة الإسلامية لحماية المجتمع الإسلامي .

كذلك فقد حفلت أبحاث العلماء بالكشف عن أخطاء المستشرقين والمبشرين في تاريخ الإسلام وحياة الرسول وشبهاتهم حول القرآن والإسلام والتحذير من أخطار كتاباتهم . ولم تتوقف مقاومة الاستعمار في مجال السياسة وحده بل تعدته الى مجال الاستعمار الثقافي والآثار التي خلفها في مجال الصحافة والتعليم .

وعملت حركة اليقظة على تحرير الفكر الإسلامي من التقليد والجبرية والجمود واعلان أن باب الاجتهاد مفتوح وازالة ما تجمع خلال فترة الضعف مما نسب الى الإسلام أو وصل به وهو ليس منه وفي مقدمتها الوثنيات وطوابع الفلسفات المادية والقديمة . كذلك تضامنت قوى المسلمين : شيعة وسنة في كل مكان للالتقاء على الوصول العامة الكبرى وذلك لتفويت محاولات

الاستعمار في تمزيق وحدة المسلمين . ومقاومة ما حرص
الاستعمار على اذاعته من المذاهب القديمة كالفينيقية
في الشام والفرعونية في مصر والبربرية في المغرب ،
وكشفت عن أن تلك القوى كلها مصدرها الجزيرة
العربية ، وان الاسلام منذ جاء فقد أقام حاجزا تاريخيا
بين ما بعده وما قبله وان الامم التي دخلت الاسلام
قد أنهت مواقعها كلها مع ما قبل الاسلام من لغة
وتاريخ وعقيدة ، ولم يعد في الامكان رد التاريخ القهقري
لأحياء هذه الدعوات القديمة التي قضت عليها دعوة
التوحيد .

وجملة القول أن العالم الاسلامي بالرغم من ضعفه
وتخلفه في مرحلة الغزو الاستعماري فانه واجه هذه
الحملة بالرفض والمقاومة ، وتتابع منذ اليوم الاول
حركة اليقظة وحركة المقاومة بحيث لم تسقط الراية
أبدا من أيدي قادة النضال الذين تتابعوا على مختلف
جبهات العالم الاسلامي ، لقد رفض العالم الاسلامي
ذى الاصاله الاسلاميه العميقة هذا الجسم الغريب
ومقاومه مقاومة شديدة ، ولم يفنى فيه أو ينصهر
وبالرغم من كل ما أثاره الاستعمار من وجوه الخلاف
فقد كانت هناك أرضا واسعة عريضة للالتقاء والاتحاد،
بين المسلمين عربا وتركيا وفرنسا ، وسنة وشيعة، هذه

الاورضية تتمثل في وحدة الفكر التي يفرضها الاسلام وتدعمها القيم الاساسية المشتركة بين المسلمين جميعا استهزاء من ثقافتهم وتراثهم وجذورهم الممتدة الى اربعة عشر قرنا .

وفي السنوات الاخيرة زادت حركة اليقظة وعمقت وكشفت عن زيوف كثيرة ، وشبهات كثيرة وباتت تعرف طريقها الى المقاومة للاستعمار وللقوى التي توالدت منه وخاصة الصهيونية والماركسية والغزو الثقافي في مجال التعليم والنظم الاقتصادية والقانونية والاجتماعية والسياسية ، وما تزال حركة المقاومة عاملة لا تتوقف ، ندفع الى تلاقى الاجزاء وترابط القوى ، للقضاء على آخر معاقل الاستعمار .



رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٣٨٢٩
الترقيم الدولي ٥ - ٦٥ - ٧٣٨

المطبعة الفنية تليفون ٩١١٨٦٢ - القاهرة

على طريق الأصول الإسلامية

تعالج قضية هامة من القضايا المعاصرة التي تتطلب بيان وجه الإسلام فيها .

- ١- ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري
- ٢- الاستعمار والإسلام
- ٣- الصهيونية والإسلام
- ٤- الحضارة في مفهوم الإسلام
- ٥- التاج في مفهوم الإسلام
- ٦- فساد نظام الربا في الاقتصاد العالمي
- ٧- الدرة المقتضية بعد ثلثين عاما " فلسطين "
- ٨- نقطة الإسلام في تركيا
- ٩- آكزوبتات في تا-نج الأدب الحديث
- ١٠- التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعليم

أنور الجندي

دار الأنصار

٨١ شئ البساتين ناحية شجاع الجمهورية - عابدين - ٩٣١٥٨١